

## لاهوتي السياق العربي: جورج خضر

أنطوان فليفل

أستاذ الفلسفة واللاهوت في جامعة ليل الكاثوليكية، فرنسا.

فصل صدر في: جورج خضر، *أسقف العربية، منشورات الجامعة الأنطونية، 2012*، ص. 29-54.

### مقتطف من الفصل

يندرج لاهوت المطران الأرثوذكسيّ جورج خضر ضمن منحى لاهوتيّ سياقيّ عربيّ، عُرف في لبنان ابتداءً من سبعينيّات القرن الماضي عبر كتابات عدد من اللاهوتيّين، منهم المارونيّان ميشال حايك ويواكيم مبارك، والملكيّان الكاثوليكيّان غريغوار حدّاد وجان كوربون. وقد تطرّق هذا المنحى اللاهوتيّ إلى عدّة إشكاليّات أنيّة تتناول السياق اللبنانيّ والعربيّ بشكل مباشر، أهمّها : الحوار المسيحيّ الإسلاميّ والحوار المسكونيّ، وإشكاليّات الأنظومة اللاهوتيّة وتجديد الكنائس وإصلاحها، ومسألة إرساء أسس خطاب لاهوتيّ سياسيّ في أوضاع المسيحيّين العرب، وعلى رأسها القضية الفلسطينيّة، والعروبة والصهيونيّة، والطائفية والعلمانيّة. قال جورج خضر الكثير في هذه المسائل، علماً أنّ إشكاليّاتها تخصّه بشكل مباشر : فقد ترعرع في "حارة النصارى" في طرابلس وجاور المسلمين لأعوام عديدة، وهو أسقف كنيسة عانت الكثير وجُرحت في صميمها من جرّاء "الاتّحاديّة" (uniatisme)، وقد نشط في الحوارات المسكونيّة المحليّة والعالميّة، وهو ابن وطن عانى وما زال من مشكلات سياسيّة أصابته في العمق وزعزت استقراره.

يتبلور فكر المطران خضر عبر جدليّة تقليديّة وتقدّميّة. فعندما تخاله ينحو مساراً فكريّاً ليبراليّاً، لا يتأخّر بتذكير قارئه بأهميّة تقليد كنيسته المحوريّ، عبر إسناد تفكّره إلى معطى لاهوتيّ أو كنسيّ تقليديّ. ولكنّ هذه الجدليّة تولي المعطيات اللاهوتيّة التقليديّة مذاقاً جديداً وطعمًا أنيًّا يجعلها حيّة، حديثة وقديمة، بعيدة وقريبة. يتجلّى ذلك مثلاً عبر قراءته اللاهوتيّة للدين الإسلاميّ، وهو يدرجه في

حقيقة الله بشكل يقصي قراءات تنظر إلى دين القرآن كدين باطل، وإلى النبي محمد كنبّي دجال. إعادة الاعتبار اللاهوتيّة للإسلام مسألة يمكن اعتبارها تقدّميّة في اللاهوت الأرثوذكسيّ الأنطاكيّ، وقد بناها جورج خضر على لاهوت يوستنيانوس الشهيد الذي عاش في القرن الثاني الميلاديّ. فيوستنيانوس كان يعلم أنّ بذور الكلمة الإلهيّة مبنوثة في ثنايا الوجود بأسره، لا يحدّها أيّ شيء. وعليه، بنى جورج خضر نظرتّه إلى الإسلام على هذا اللاهوت، واعتبر أنّ بذور الكلمة موجودة حتمًا في الديانة الإسلاميّة التي تدرج، انطلاقًا من هذا المنطق، في حقيقة الله. ولكن، على الرغم من هذا الانفتاح والموقف اللاهوتيّ المتقدّم من الإسلام، يبقى لاهوت خضر احتوائيًا، وهو ثابت في إيمانه بأنّ ملء تجلّي الكلمة لم يتمّ إلاّ في شخص المسيح، كلمة الله المتجسّد، وأنّ كلّ حقيقة موجودة في أيّة ديانة هي حقيقة مصدرها الأساسيّ والوحيد هذه الكلمة. فخضر يبغى "إيقاظ المسيح النائم في ليل الأديان"<sup>1</sup>، المسيح الذي يظهر في فكره كمحور كلّ حقيقة وعمل في كنف الخليقة: "كلّ شيء مصدره المخلّص الذي تعبدون: كلّ حقيقة، كلّ طهارة، كلّ عظمة، كلّ مثال. ليس من شيء صالح في هذه الدنيا لم يستحّنه المسيح بشكل ما. ولكنّ السيّد يعمل حيثما يطيب له، وليس بمقدرتك حدّ عمله. هو وعد بملئكم من نعمه، ولكنّه لم يقلّ إنّه سيجعل منكم مستودعاتها الوحيدة"<sup>2</sup>.

ينعقد هذا المقال على مقومتين أساسيتين من فكر جورج خضر اللاهوتيّ، هما في صلب كتاباته ونشاطاته الكنسيّة والوطنية. أولهما تفكّراته المسكونيّة، وهي تخضع أيضًا لجدليّة التعلّق بالتقليد الأرثوذكسيّ والانفتاح الرحب على الآخر، وبروح الصراحة المزعجة والمحبة الأخويّة لشريك الحوار. وثانيهما خطابه اللاهوتيّ السياسيّ الذي عرّفنا به خاصّة مقالاته في جريدة «النهار» على مرّ عدّة عقود، واكب فيها الأزمات العربيّة، وخاصّة اللبنانيّة والفلسطينيّة.

Georges KHODR, « Christianisme dans un monde pluraliste : l'Économie du Saint-Esprit », in *Irénikon*, n° 2, <sup>1</sup> 1971, p. 202.

Georges KHODR, *L'appel de l'Esprit*, Paris, Cerf, 2001, p. 7. <sup>2</sup>